(١)

مَظَاهِرُ الكِبْرِ والاسْتِعلاءِ
والصَّدِّ عَنْ دِينِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ ، القَائِلِ فِي كِتَابِهِ الكَرِيمِ: {سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ}، وأَشْهَدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحَمَّدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

وَبَعْدُ:

فَإِنَّ عَاقِبَةَ المُسْتَكْبِرِينَ وَخِيمَةٌ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ ، أَفْرَادًا كَانُوا أَوْ أُمَمًا ، فَهَلاكُ الأُمَمِ والقُرَى الَّتِي عَتَتْ وَاسْتَكْبَرَتْ سُنَّةٌ مَاضِيَةٌ فِي خَلْقِ اللهِ (عز وجل) ، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً وَلا تَحْوِيلاً ، يَقُولُ الحَقُّ سُبْحَانَهُ : {فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ } ، ويقول سبحانه : {وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا* فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا} .

والكِبْرُ هُوَ أَوَّلُ ذَنْبٍ عُصِيَ بِهِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَذَلِكَ لَمَّا أَمَرَ اللهُ تَعَالَى المَلائِكَةَ بِالسُّجُودِ لآدَمَ فَسَجَدُوا، إلا إِبْلِيسَ؛ قَالَ تَعالَى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ}.

إِنَّ أَهْلَ الكِبْرِ يُعْرَفُونَ بِسِيمَاهُمُ المَذْمُومَةِ فِي الآخِرَةِ ، كَمَا كَانُوا يُعْرَفُونَ بِهَا فِي الدُّنْيَا، قَالَ تَعَالَى: {وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ}، وَلِذَلِكَ حَذَّرَ الإِسْلامُ مِنْ سُوءِ عَاقِبَةِ الكِبْرِ ، وَجَعَلَهُ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ البُعْدِ عَنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَتَوَعَّدَ أَهْلَهُ بِالعَذَابِ الأَلِيمِ، قَالَ تَعالَى: {إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ}، وقال تعالى: {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ}، وقال (صلى الله عليه وسلم): (احْتَجَّتِ الجَنَّةُ والنَّارُ ، فقالتِ النَّارُ : فِيَّ الجَبَّارُونَ وَالمُتَكَبِّرُونَ ، وَقَالتِ الجَنَّةُ: فِيَّ ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَمَسَاكِينُهُمْ ، فَقَضَى اللهُ بَيْنَهُمَا: إِنَّكِ الجَنَّةُ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ ، وَإِنَّكِ النَّارُ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ ، وَلِكلَيْكُمَا عَلَيَّ مِلْؤُهَا)، وقال (صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّم): (... أَلا أخْبِرُكُمْ بِأهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ جَوَّاظٍ ... مُتَكَبِّرٍ).

لاَ جَرَمَ أَنَّ الكِبْرَ خُلُقٌ يَسْكُنُ القَلْبَ المَرِيضَ، فَقَدْ يَكُونُ الرَّجُلُ رَثَّ الحَالِ قَلِيلَ المَتَاعِ وَهُوَ مِنَ المُتَكَبِّرِينَ ، وَقَدْ يَكُونُ غَنِيًّا قَدْ بُسِطَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَهُوَ مِنْ أَهْلِ التَّوَاضُعِ والإِخْبَاتِ ، قَالَ (صلى الله عليه وسلم): (لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ) فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا ، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً ، فَقَالَ : (إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ ، الكِبْرُ : بَطَرُ الحَقِّ ، وَغَمْطُ النَّاسِ)، وَهُوَ مِنْ أَخْطَرِ الأَمْرَاضِ النَّفْسِيَّةِ والاجْتِمَاعِيَّةِ الَّتِي تُحَطِّمُ النَّفْسَ وَتَهْدِمُ المُجْتَمَعَ، وَصَاحِبُهُ مَخْدُوعٌ فِي نَفْسِهِ يَسْتَعْلِي بِهَا عَلَى غَيْرِهِ، قَالَ تَعَالَى: {إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ}.

وَمَعَ أَنَّ الكِبْرَ يَسْكُنُ القَلْبَ ، إِلاَّ أَنَّ لَهُ مَظَاهِرَ تَبْدُو فِي السُّلُوكِ والمُعَامَلَةِ. **مِنْهَا**: **العِزَّةُ بِالإِثْمِ** ، **وَعَدَمُ الخُضُوعِ لِلْحَقِّ** ، قال تعالى : {.... وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ} ، فَالمُتَكَبِّرُ يَنْدَفِعُ بِغُرُورِهِ المَذْمُومِ وَاسْتِكْبَارِهِ المَقِيتِ لِرَفْضِ الحَقِّ، وَلا تَزِيدُهُ دَعْوَتُهُ إِلَى الحَقِّ إِلاَّ غُرُورًا وَاسْتِكْبَارًا ، فَيُورِدُ نَفْسَهُ مَوْرِدَ الهَلاكِ، قَالَ تَعَالَى: {فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ}، وَهُنَاكَ مَنْ يَتَكَبَّرُ عَلَى أَمْرِهِ (صلى الله عليه وسلم)، فَيَلْقَى جَزَاءَ تَكَبُّرِهِ وَعِنَادِهِ، فعن إِيَاسِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ (رضي الله عنه) ، أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِشِمَالِهِ ، فَقَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (كُلْ بِيَمِينِكَ) ، قَالَ : لا أَسْتَطِيعُ ، قَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (لا اسْتَطَعْتَ) ، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ ، قَالَ : فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ).

ومِنْهَا: **تَصْعِيرُ الْوَجْهِ**: ويَعْنِي: الإِشَاحَةَ بِالْوَجْهِ عَنِ النَّظَرِ كِبْرًا ، وقد نَهَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ على لِسَانِ لُقْمَانَ بِقَوْلِهِ لِوَلَدِهِ: {وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ}.

وَمِنْهَا: **الاِخْتِيَالُ فِي الْمَشْيِ**: وَيَعْنِي: التَّبَخْتُرَ وَالتَّعَالِيَ فِي الْمِشْيَةِ ، قال تَعَالَى: {وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَال طُولاً كُل ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا}.

وَمِنْهَا: **الاخْتِيَالُ بِالمَتَاعِ وَبِنِعَمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ** ، قَالَ (صلى الله عليه وسلم): (خَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فِى حُلَّةٍ لَهُ يَخْتَالُ فِيهَا، فَأَمَرَ اللَّهُ الأَرْضَ فَأَخَذَتْهُ ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) ، وكما يَكُونُ الاخْتِيَالُ بِالثِّيَابِ يَكُونُ كَذَلِكَ بِفُرُشِ

الْبُيُوتِ ، وَبِرُكُوبِ السَّيَّارَاتِ ، وامْتِلاكِ القُصُورِ عَلَى جِهَةِ المُبَاهَاةِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا.

وَمِنْهَا: **التَّرَفُّعُ عَنْ مُجَالَسَةِ الفقراء والضعفاء احتقارا لهم** ، كَمَا تَرَفَّعَ الْمُشْرِكُونَ عَنْ مُجَالَسَةِ ْفُقَرَاءِ الصحابة ، سَلْمَانَ وَصُهَيْبٍ وَبِلاَلٍ وَنَحْوِهِمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، حَيْثُ قَالُوا لِرَسُول اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم): اطْرُدْ هَؤُلاَءِ لاَ يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا ، فَأَنْزَل اللَّهُ عَزَّ وَجَل: {وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} ، وَمِنْ صُوَرِ التَّرَفُّعِ عَنِ النَّاسِ كَذَلِكَ: **قَصْرُ الدَّعْوَةِ عِنْدَ الوَلائِمِ عَلَى الأَغْنِيَاءِ دُونَ الفُقَرَاءِ استصغارا لشأنهم** ، قال أبو هُرَيْرَةَ (رضى الله عنه): "شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ ، يُدْعَى لَهَا الأَغْنِيَاءُ ، وَيُتْرَكُ الْمَسَاكِينُ...".

كَذَلِكَ مِنْ مَظَاهِرِ الكِبْرِ: **التَّرَفُّعُ عَنْ إِلْقَاءِ السَّلاَمِ** أَوْ مُصَافَحَةِ مَنْ هُوَ أَدْنَى مِنْهُ مَنْزِلَةً احْتِقَارًا لَهُ ، وَقَدْ كَانَ (صلى الله عليه وسلم) يَبْدَأُ بِالسَّلامِ الصَّغِيرَ والكَبِيرَ ، فَفِي الحَدِيثِ: (أَنَّ رَسُول اللَّه (صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مَرَّ عَلَى غِلْمَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ).

وَمِنْ مَظَاهِرِ الكِبْرِ : **اللدد في الخصومة** ، **والفجور فيها** ، وَلاَ خِلاَفَ فِي أَنَّهُ يَحْرُمُ عَلَى الْمُسْلِمِ هَجْرُ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ فَوْقَ ثَلاَثٍ ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّقَاطُعِ وَالإِيذَاءِ وَالْفَسَادِ ، وَثُبُوتِ الْوَعِيدِ عَلَيْهِ فِي الآخِرَةِ ، قال (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ فَهُوَ فِي النَّارِ ، إِلاَّ أَنْ يَتَدَارَكَهُ اللَّهُ بِكَرَامَتِهِ) ، وقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا ، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ) ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ

كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا : إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ) .

وَلَقَدْ كَانَ الكِبْرُ وَالاسْتِعْلاءُ سَبَبًا فِي امْتِنَاعِ كَثِيرٍ مِنَ المُشْرِكِينَ عَنِ الدُّخُولِ فِي الإِسْلامِ ، وَعَنْ قَوْلِ: (لا إِلَهَ إلا اللهُ) ؛ قَالَ تَعالَى: {إِنَّهُمْ كانُوا إِذا قِيلَ لَهُمْ لا إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ}، فَكَانُوا يَأْنَفُونَ أَنْ يَتَّبِعُوا غَيْرَ دِينِ الآبَاءِ والأَجْدَادِ ، وَبِسَبَبِ الكِبْرِ تَرَكَ اليَهُودُ اتِّبَاعَ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) رغْمَ تَيَقُّنِهِمْ مِنْ صِدْقِهِ فِي نُبُوَّتِهِ ، قَالَ تَعَالَى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} ، وَهُوَ كَذَلِكَ الَّذِي حَمَلَ بَنِي إِسْرَائِيل عَلَى تَكْذِيبِ أَنْبِيَائِهِمْ وَقَتْلِهِمْ بَعْضَهُمْ ، قَالَ تَعَالَى: {أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ}.

إِنَّ الكِبْرَ سَبَبٌ فِي كُفْرِ وَتَكْذِيبِ المُكَذِّبِينَ فِي الأُمَمِ السَّابِقَةِ ، قَالَ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ نُوحٍ: {وَإِنِّي كُلَّما دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْباراً} ، وَقَالَ تَعَالَى عَنْ قَوْمِ هُودٍ (عليه السلام): {فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً} ، وَقَالَ تَعَالَى عَنْ قَوْمِ صَالِحٍ: {قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُواْ إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا بِالَّذِيَ آمَنتُمْ بِهِ كَافِرُونَ}، وَقَالَ تَعَالَى عَنْ قَوْمِ شُعَيْبٍ: (قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا)، وَهَكَذا كَانَتْ

عَاقِبَةُ كُلِّ أُمَّةٍ اسْتَكْبَرَتْ عَنْ أَمْرِ اللهِ تَعَالَى الهَلاكَ والبَوَارَ، فَبِئْسَتِ العَاقِبَةُ وَبِئْسَ المَصِيرُ.

إِنَّ سَبِيلَ الدَّوَاءِ لِمَنِ ابْتُلِيَ بِهَذَا الدَّاءِ العُضَالِ أَنْ يُعَالِجَ قَلْبَهُ ، بِأَنْ يَعْرِفَ قَدْرَ نَفْسِهِ، فيَنْظُرَ فِي أَصْلِ وُجُودِهِ بَعْدَ الْعَدَمِ مِنْ تُرَابٍ ، ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ، ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ، ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ ، ثُمَّ كيف صَارَ شَيْئًا مَذْكُورًا بَعْدَ أَنْ كَانَ عدمًا ، وَلْيَعْلَمِ العَبْدُ المُتَكَبِّرُ أَنَّهُ يُعَاقَبُ يَوْمَ القِيَامَةِ بِنَقِيضِ قَصْدِهِ ، فَمَنْ قَصَدَ التَّعَالِيَ وَالتَّبَاهِي عَلَى خَلْقِ اللهِ حُشِرَ أَذَلَّهُمْ وَأَنْقَصَهُمْ ، قَالَ (صلى الله عليه وسلم): (يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ ، يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ...) ، وَقَالَ تَعَالَى: {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ

***

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

إِخْوَةَ الإِسْلامِ:

إِنَّ مِنْ مَظَاهِرِ الصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ (عز وجل) تَنَاقُضَ الأَقْوَالِ والأَفْعَالِ ، وَادِّعَاءَ المِثَالِيَّةِ والمُسَالَمَةِ مِمَّنْ يُرَكِّزُونَ عَلَى الشَّكْلِ والمَظْهَرِ، وَيُعْطُونَ المَظْهَرَ الشَّكْلِيَّ الأَوْلَوِيَّةَ المُطْلَقَةَ وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ عَلَى حِسَابِ اللُّبَابِ والجَوْهَرِ ، حَتَّى لَوْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُ هَذَا المَظْهَرِ عَلَى المُسْتَوَى الإِنْسَانِيِّ والأَخْلاقِيِّ الَّذِي يَجْعَلُ مِنْهُ القُدْوَةَ والمَثَلَ ؛ ذَلِكَ أَنَّ صَاحِبَ المَظْهَرِ الشَّكْلِيِّ الَّذِي لا يَكُونُ سُلُوكُهُ مُتَّسِقًا مَعَ تَعَالِيمِ

الإسْلامِ يُعَدُّ أَحَدَ أَهَمِّ مَعَالِمِ الهَدْمِ والتَّنْفِيرِ والصَّدِّ عَنْ دِينِ اللهِ (عز وجل)، وَأَمْثَالُ هَؤُلاءِ هُمْ مَنْ يَصْدُقُ فِيهِمْ قَوْلُ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِين) .

فَإِذَا كَانَ المَظْهَرُ مَظْهَرَ المُتَدَيِّنِينَ مَعَ مَا يُصَاحِبُهُ مِنْ سُوءِ المُعَامَلاتِ ، أَوِ الكَذِبِ ، أَوِ الغَدْرِ ، أَوِ الخِيَانَةِ ، أَوْ أَكْلِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالبَاطِلِ ، فَإِنَّ الأَمْرَ هُنَا جِدُّ خَطِيرٌ ، بَلْ إِنَّ صَاحِبَهُ يَسْلُكُ فِي عِدَادِ المُنَافِقِينَ، كَمَا هُوَ حَالُ الجَمَاعَاتِ المَارِقَةِ المُتَاجِرةِ بِدِينِ اللهِ (عز وجل) ، عَلَى الرُّغْمِ مِنْ كَوْنِهَا أَكْبَرَ حَاضِنٍ لِلإِرْهَاب ، وَأَعْظَمَ دَاعِمِيهِ ، سَعْيًا مِنَ القَائِمِينَ عَلَيْهَا إِلَى إِفْشَالِ الدُّوَلِ وَإِضْعَافِهَا بِمَا يُسَهِّلُ لَهُمْ – فِي زَعْمِهِمْ– الوُصُولَ إِلَى السُّلْطَةِ بِهَذِه الدُّوَلِ ، مُتَّخِذِينَ لِذَلِكَ كُلَّ سَبِيلٍ ، مُسْتَبِيحِينَ كُلَّ وَسِيلَةٍ.

وَكَذَلِكَ مَنْ يَحْصُرُ التَّدَيُّنَ فِي بَابِ العِبَادَاتِ والاجْتِهَادِ فِيهَا مَعَ سُوءِ الفَهْمِ لِلدِّينِ، والإِسْرَافِ فِي التَّكْفِيرِ وَحَمْلِ السِّلاحِ والخُرُوجِ عَلَى النَّاسِ بِهِ ، كَمَا حَدَثَ مِنَ الخَوَارِجِ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ صَلاةً وَصِيَامًا وَقِيَامًا ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لَمْ يَأْخُذُوا أَنْفُسَهُمْ بِالعِلْمِ الشَّرْعِيِّ الكَافِي الَّذِي يَحْجِزُهُمْ عَنِ الخَوْضِ فِي الدِّمَاءِ ، فَخَرَجُوا عَلَى النَّاسِ بِسُيُوفِهِمْ ، وَلَوْ طَلَبُوا العِلْمَ لَحَجَزَهُمْ عَنْ ذَلِكَ ، فَالإِسْلامُ دِينُ الرَّحْمَةِ بِكُلِّ مَعَانِيهَا ، وَكُلُّ مَا يُبْعِدُكَ عَنِ الرَّحْمَةِ يُبْعِدُكَ عَنِ الإِسلامِ ، وَالعِبْرَةُ بِالسُّلُوكِ السَّوِيِّ لا بِمُجَرَّدِ القَوْلِ ، وَقَدْ قَالُوا : حَالُ رَجُلٍ فِي أَلْفٍ خَيْرٌ مِنْ كَلامِ أَلْفٍ لِرَجُلٍ.

اللَّهُمَّ أَرِنَا الحَقَّ حَقًّا وَارْزُقْنَا اتِّبَاعَهُ ، وَأَرِنَا البَاطِلَ بَاطِلاً وَارْزُقْنَا اجْتِنَابَهُ.